الفصل الأول

الإعلام وتكوين الاتجاهات

الإعلام وتكوين الاتجاهات

يُعرِّف أولبورت Allport الاتجاه بأنه: «حالة من التهيؤ العقلي والعصبي، تكونت من خلال الخبرة، وتمارس تأثيرًا ديناميًّا وموجهًا لاستجابة الفرد تجاه كل الموضوعات والمواقف التي ترتبط بها هذه الاستجابة (IN: Malim, 1997, P. 149).

وللاتجاه ثلاثة مكونات:

١- المكون المعرفي: ويتضمن الإدراكات والمعتقدات إزاء موضوع الاتجاه.

٢- المكون الوجداني: ويتضمن المشاعر والاستجابات الانفعالية نحو موضوع الاتجاه.

٣- المكون السلوكي أو النزوعي Conactive: ويتضمن النوايا (المقاصد)، والتي تنبئ بالطريقة التي يتحمل أن يسلك بها الفرد حيال موضوع الاتجاه (Ibid, P. 150).

وعليه يمكن تعريف الاتجاه بوصفه: (تنظيم من المعتقدات والاستجابات الانفعالية والميل للسلوك تجاه شخص، أو شيء، أو موضوع ما)، هذا الاتجاه قد يكون موجبًا، أو سالبًا حسب ما يبديه الفرد من قبول، أو رفض حيال موضوع الاتجاه.. هذا القبول أو الرفض تحدد طبيعة المعتقدات الاستجابات الانفعالية التي إما أن تكون إيجابية أو سلبية.

ولكن في سن معينة تبدأ الاتجاهات في إظهار نفسها في السلوك؟ ويجيب على هذا التساؤل لامبرت، لامبرت (١٩٩٣، ص ١١٢-١١٣)، بالإشارة إلى دراسة «مارجريت بيركس» التي أجريت باستخدام عينة من الأطفال من الخامسة إلى الثامنة عشرة. طلب من الصغار البروتستانت الإجابة على السؤال: كيف ترى اليهود؟، وحللت إجاباتهم للبحث فيما يخص بالتحيز؟ وقد وجد أنه في سن الخامسة لم يعبر أي منهم عن أي تحيز، أو تمييز، بينما عبر ٢٧٪ منهم في سن العاشرة عن ذلك، وكان الأطفال بحلول العاشرة يبدون التمييز بوضوح باستبعاد اليهود من جماعة أصدقائهم، ولوحظ نفس الشيء في مدن أمريكية كبيرة أخرى، وكان الأطفال الإيطاليون بدءًا من الفصل الخامس، يختارون الإيطاليين كأصدقاء، بينما يختار الأطفال اليهود يهودًا آخرين كأصدقاء، كما اتضح في دراسة كريزول.

طبيعة الاتجاهات:

- تتحدد طبيعة الاتجاهات بخمسة أبعاد رئيسية هي:

١ - **التطرّف:** ويقصد به حظ الاتجاه من الإيجابية، والسلبية، أو درجة قربه من التطرف الإيجابي وبعده عن السلبي أو العكس؛ تطرف الاتجاه إذن هو موقع الاتجاه بين طرفين مقابلين هما التأييد التام، والمعارضة المطلقة، والأول أيجابي والثاني سلبي كما هو واضح.

٢ - **المضمون أو المحتوى المعرفي:** ويقصد به درجة اتضاح معناه عن الأفراد أصحاب الاتجاه.

٣ - **وضوح معالم الاتجاه:** ويقصد به أن الاتجاهات تتفاوت في وضوحها، وجلائها، فمنها ما هو واضح المعالم بين التفاصيل، والتكوين، على حين أن منها ما هو مائع وغامض.

٤ - **الانعزال:** كذلك تختلف الاتجاهات من حيث درجة ترابطها، ومقدار التكامل بين بعضها البعض.

٥ - **القوة:** يقصد به مدى قدرة الاتجاه على الثبات، والاستمرار، والاتجاه يميل إلى القوة كلما كانت لديه قيمة أكبر وأهمية أكثر في تكوين الشخصية، وفي معتقدات القوم الذين ينتمي إليهم الفرد (أحمد عبد العزيز سلامة، عبد السلام عبد الغفار، ١٩٧٠، ١١٧-١١٩).

أبعاد الاتجاه:

بعد أن اتضح الدور الهائل الذي تلعبه الاتجاهات في حياة الفرد الاجتماعية أصبحت موضوعًا لأبحاث كثيرة كشفت عن خصائصها المتعددة، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - تقوم الاتجاهات على أساس من تقييم خصائص موضوع الاتجاه، وتستثير سلوكًا موجهًا. وللاتجاه نتائج سلوكية متنوّعة حركية، وفسيولوجية، ولفظية، وغير لفظية، وللسلوك الاتجاهي بعدان أحدهما هو «السلبية - الإيجابية» والآخر هو «النفور - التجنب» وبذلك تكون هناك أربع فئات من السلوك الاتجاهي هي: التوجه السلبي كالهجوم، والتوجه الإيجابي

كالتودد، والتجنب السلبي كالابتعاد والخوف، والتجنب الإيجابي كعدم التدخل في شؤون الآخرين. وهذه الفئات الأربعة في الأبعاد المفترضة للاستجابة الانفعالية، ولا تقيس مقاييس الاتجاه لبعد النفور والتجنب، وإنما تقيس فقط بعد «السلبية – الإيجابية».

٢- تتوزع شدة الاتجاه ونوعيته بين قطبين هما الإيجابية والسلبية، مرورًا بالموقف المحايد، وتقدر نوعية الاتجاه بمدى تقويم الموضوع من حيث المساعدة على تحقيق الهدف (مع / ضد). أما شدة الاتجاه فيعبر عنها بمدى الإيجابية، أو السلبية انطلاقًا من الموقف المحايد، والإيجابية هي موقف مؤيد، أما السلبية فهي موقف معارض، وينظر إلى الاتجاه على أنه يمتد على متصل من الإيجاب أو السلب مرورًا بالموقف المحايد، وعلى هذا يكون الاتجاه على أحد جانبي المتصل ممثّلًا للاستجابات الانفعالية، والتي تثير توجّهات سلبية كالتجنّب، أو الهجوم أو التقزز، بينما تمثل الاتجاهات على الجانب الآخر من المتصل وجدانات إيجابية تؤدي إلى استجابات إيجابية كالرضا، والتودد، والقبول؛ أو تجنب إيجابي كالامتناع عن الضرر والأذى. وتثير النقطة المحايدة أو الموقف المحايد استفسارًا.. فما هو الموقف المحايد؟ يرى البعض أنه لا يوجد موقف محايد، فاتخاذ موقف معناه الإيجاب أو السلب. ويرى البعض الآخر أنها نقطة توازن بين تقويمين متضادين وبالتالي فإنها تعكس موقفًا فيه ثنائية الوجدان. وعلى أية حال فمن الناحية العملية -أي من ناحية قياس الاتجاه- تعتبر نقطة الصفر -أي الموقف المحايد- نقطة توازن لا هي بالمؤيد، ولاهي بالمعارض.

٣- يتفق أصحاب علم النفس الاجتماعي على أن الاتجاهات متعلّمة أكثر من كونها فطرية، أو ناتجة عن النمو الجسمي والنضج.

٤- للاتجاهات مصادر، أو مراجع اجتماعية، وقد تكون هذه المصادر أشياء مادية ملموسة، أو مسائل مجردة كالسياسة، والأخلاق.

٥- تمتلك الاتجاهات فيما بينها درجات متنوعة من الترابط، وهناك اتجاهات محورية، أو مركزية ترتبط بها عدة اتجاهات أخرى، وهناك أخرى محيطية؛ ويأتي هذا الارتباط من تشابه المصادر، وكذلك من تشابه القيم؛ وكلما كان الاتجاه مركزيًّا صعب تعديله، بسبب قيمته المرتفعة لدى صاحبه.

٦- الاتجاهات أميل للثبات ومقاومة التغير؛ فالاستعدادات الوجدانية تتغير بصعوبة، وغالبًا ما يرجع ذلك إلى الترابط فيما بينها، وأن لها تاريخًا من التعزيز خلال تعلمها، كما أن قاعدة ثبات المدركات تقوم بدور كبير في مقاومة التغيُّر (لطفي فطيم، ١٩٩٥، ١٧٣ – ١٧٥).

خصائص الاتجاه:

١- إن الاتجاه يكتسب من خلال الخبرات المتراكمة للفرد، في السياقات النفسية الاجتماعية التي يتفاعل معها، مما يساعد على تكوين مخطط الإطار لتصوّراته، أو أحكامه التقويمية، وتصرُّفاته نحو موضوعات عالمه الاجتماعية، ويتم تعلم الاتجاهات الاجتماعية من خلال: إما الاقتران المحتمل بين تنبيه انفعالي بعينه (بشكل موضوع الاتجاه لاحقًا) والخبرة بتكرار مكافأة الفرد، أو عقابه إذا ما استجاب على نحو معين لهذا التنبيه، وإما التعرض لمخاطبة ما تدعو لهذا الاتجاه، وإما الاقتداء بنماذج اجتماعية فيما نتخذه من مواقف اتجاهية.

٢- الاتجاه ليس موقفًا عابرًا، إذ يمثل علاقة مستقرة بين الذات، وموضوعات محددة.

٣- إنه موجه للسلوك، حيث يحث الفرد على إصدار استجابات سلوكية بذاتها نحو أو ضد موضوع الاتجاه.

٤- للاتجاه وجهة Valence معينة إذ يكشف عنه بتقدير درجة تفصيل الفرد، أو استهجائه لموضوع الاتجاه، والوجهة كخاصية للاتجاه تصف مكوناته الثلاثة، معتقداتنا عن جودة شيء ما تندرج من كونه شديد الجودة إلى تصور أنه رديء جدًّا، كذلك تتدرج مشاعرنا من الحب الشديد إلى كراهية مبالغ فيها، كما يتدرج السلوك من ميل للمساعدة إلى رغبة في العدوان.

٥-تنوع العناصر أو الأجزاء التي يتكون منها ليس الاتجاه فحسب إنما كل مكون فيه، فالمكون المعرفي يتضمن معارف جزئية تميز موضوع الاتجاه عن غيره، كذلك تتعدد انفعالات الفرد نحو ذلك الموضوع من تقبل، وتقدير، وتفصيل ...إلخ.

٦- الاتساق بين مكونات الاتجاه، فالارتباطات المتبادلة بينها مرتفعة.

٧- المركزية Centrality أو هيمنة أحد المكونات على بقيتها بشكل ظاهر في الاتجاه المعبر عنه، كما في حال غلبة المضمون الانفعالي على رؤية الفرد لموضوع الاتجاه (**عبد الحليم محمود السيد وآخرون، ٢٠٠٣، ٤٨**).

وظائف الاتجاهات:

وفقًا لنظرية وظيفية الاتجاه لكاتز (Katz) فإن للاتجاهات عدة وظائف تعرض لها (ممدوحة سلامة -٢٠٠٤، ٩٧) على النحو التالي:

١- **وظيفة توافقية نفسية**: وهو ما تؤكده نظريات التعلّم حيث تتكون الاتجاهات وفقًا لارتباطها بما يترتب عليها من إثابة، أو عقاب، أو ما يرتبط بها من مشاعر ضيق، أو ارتياح.

٢- **وظيفة دفاعية عن الذات**: إذ يحاول الفرد حماية ذاته من مواجهة حقائق أساسية تتعلق بها، أو حقائق قاسية تتعلق بالعالم الخارجي، وهو ما يؤكده الفكر الفرويدي، والمجددين للتحليل النفسي.

٣- **وظيفة التعبير عن القيم الذاتية، ومفهوم الذات**: وهنا فإن الفرد يحصل على الرضا من التعبير عن الاتجاهات التي تتفق وقيمه الشخصية ومفهوم لذاته، وهذه الوظيفة أساسية بالنسبة للتوجهات التي تؤكد النمو وتحقيق الذات.

ومن وظائف الاتجاهات أيضًا يشير عبد الحليم محمود السيد وآخرون (٢٠٠٣، ٤٩) إلى أن الاتجاه يمكّن الفرد من التكيُّف مع البيئة إذ يجعله قادرًا على تقدير المنبّهات، وتقييمها في ضوء أهدافه، واهتماماته مما يجعله يستطيع تصنيف الأفعال والموضوعات في البيئة مكوّنًا ميلًا للاستجابة المتاحة للملاءمة المرتبطة بهذه الأشياء، كما أن للاتجاهات وظيفة أخرى وهي أنها تمكّن الفرد من فهم العالم المحيط به لأنها تمده بإطار دلالة (مرجعي) يضفي معنى على الأحداث الجارية، مما يجعله قادرًا على توقّعها وبالتالي يشعر بأنه أكثر كفاءة عند التعامل معها. وتقدم دراسات حديثة الدليل على هذه الوظائف، وبعض هذه البحوث يدمج وظيفة الاتجاه الذرائعية مع وظيفتها كمصدر للمعرفة تحت مسمى النفعية Utilitarian (**المرجع السابق، ص٤٩**).

مقياس ليكرت Likert – Scale

وقد وضع لنا ليكرت (١٩٣٢) طريقته المشهورة في قياس الاتجاه والتي تشبه إلى حد كبير طريقة ثرستون في أنها تعتمد على التحليل الكمّي لخصائص العبارات الكثيرة المفصّلة، فيتلخّص هذا المقياس في أنه يطلب من الأفراد أن يوضّحوا درجة موافقتهم، أو عدم موافقتهم على كل حالة في قياس من خمس درجات هي (أوافق بشدة – أوافق – غير محدد – غير موافق – غير موافق بشدة) كما هو مبين بالشكل التالي:

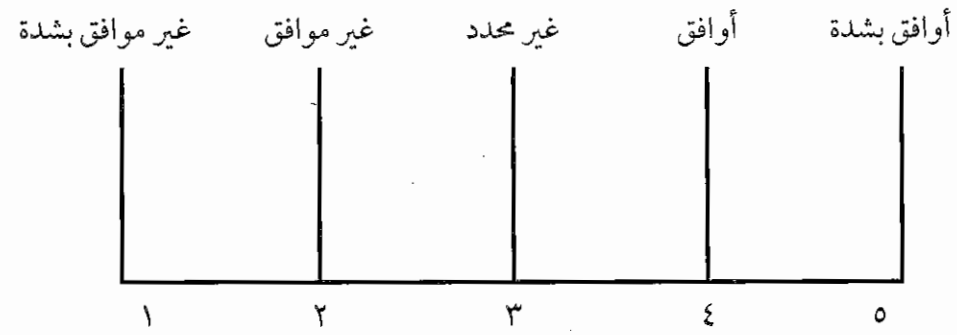

وتعطي هذه الاستجابات أوزانًا (٥، ٤، ٣، ٢، ١) في حالات العبارات الموجبة، أما في العبارات السالبة فتكون هذه الدرجات عكسية أي (١، ٢، ٣، ٤، ٥) وعمومًا تشير الموافقة الشديدة إلى الاتجاه الأكثر تفصيلًا، وتعطي أعلى درجة وهي خمس درجات؛ أما عدم الموافقة الشديدة فهي تشير إلى الاتجاه الأقل تفصيلًا وتعطي درجة واحدة، والدرجة الكلية للفرد هي مجموع درجاته على كل البنود (Penrod, 1983 في: **سيد محمود الطواب، ١٩٩، ١١**).

تكوين الاتجاهات

١- الارتباط وإشباع الحاجة:

يفسر لنا مبدأ الارتباط وإشباع الحاجة كيف نتعلم ونكتب كثيرًا من الاتجاهات؛ فالطفل يتعلّم أن يخاف ويتجنّب الذين يرتبط وجودهم بخبرات غير سارة، في حين يتقرّب من هؤلاء الذين يرتبط وجودهم بخبرات غير سارة أو مؤلمة، ومن ثم تتحدد نوعية اتجاهاته تجاه الآخرين بحسب ارتباطهم بالخبرات السارة أو غير السارة. ويمكن ملاحظة ذلك بداية من الطفولة الباكرة حيث ينمّي مشاعر ونزعات طيبة للسلوك تجاه والديه عندما يشبعان حاجاته، ومن ثم فإن ارتباطها بالخبرات السارة (التي يتم فيها إشباع الحاجة) ينمي لديه اتجاهات إيجابية نحوها، والعكس صحيح إلى حد كبير. إن الفرد ينمي، بشكل عام، اتجاهات

إيجابية نحو من يعتقد في قدرتهم على إشباع حاجاته أو تلبية رغباته، ولعل ذلك يذكّرنا بالوظيفة الذرائعية أو النفعية للاتجاهات التي تتحدد بما يترتب عليها من عائد أو مردود.

٢- الولاء الاجتماعي:

ونفترض هنا أن ولاء أو انتماء الفرد لجماعة ما يسهم في تكوين اتجاهاته بما يعكس معتقدات وقيم ومعايير تلك الجماعة التي تعكس بدورها ثقافة المجتمع، ويمكن تفسير الانتماء إلى الجماعة من خلال مبدأ المسايرة، أو المجاراة والرغبة الشديدة في الاستحسان، أو الإثابات، وتجنب الرفض، أو الاستهجان، والعقاب، وإن كان ذلك ليس على طول الخط فهناك من يخرج من قبضته الحشد أو القطيع ويتبنى اتجاهات مغايرة تحدد سلوكه، وقد يدفع هؤلاء، كما يوضح التاريخ، قد يدفعون إلى التغيير الاجتماعي، أو بعبارة أخرى تكوين اتجاهاتهم تلك ضمن أسباب التغير الاجتماعي وإن كنا نتحدث عن تأثير الانتماء إلى الجماعة أو التأثير الذي تمارسه ثقافة الجماعة على اتجاهات الفرد، فإن ذلك ما أشار إليه «ديفيد ريسمان» بالموجه الآخر في مناقشته للبناء الاجتماعي الثقافي وعلاقته بالنمط الشخصي وإن كان هناك أنماط شخصية أخرى ترتبط كل منها بوضع اجتماعي ثقافي معين. كما أن هناك أدلة علمية تشير إلى أن التوجه بالآخرين قد يكون غير هام في تكوين اتجاهات الفرد.

ودونما دخول في تفاصيل قد لا يتسع المقام لها، يفترض أن الفوارق في الاتجاهات بين الجماعات المختلفة إنما يفسر - إلى حد غير قليل- بالمعتقدات التي تسود هذه الجماعات، كذلك بما تتضمنه هذه الجماعات من قيم مغايرة وإن كان تأثيره تلك الأخير يختلف حسب مركزيتها، وعموميتها، وارتباطها بالعقائد، والتقاليد الاجتماعية كما يشير إلى ذلك كرتشفيلد وبلاشي (ترجمة حامد عبد العزيز الفقي، ١٩٩٣، ١٠٩-١١٢) كذلك فإن المعايير تسهم في تكوين، أو تحديد نوعية اتجاهات الفرد، فإن كانت القيم تعبر عن الأهداف العامة، وتقيم

أسسًا موجهة للسلوك، فإن المعايير أكثر تخصصًا، فهي ترتبط بسلوك محددة، وتمثل القواعد والمقاييس الثقافية، التي يجب على الإنسان أن يأخذها بعين الاعتبار عندما يسلك، أو يفكر، أو يعبر عن شعور في موقف معين، المعايير إذن مرتبطة بسلوك معين في موقف معين (إبراهيم عثمان، ١٩٩٩، ١٦٩) يتضح إذن معايير الجماعة في تحديد السلوك، الاتجاه، وتمارس الجماعة ضغطًا على أعضائها للسلوك بشكل معين، أو تبنى اتجاهات معينة من خلال ما تقيمه من نظام للثواب والعقاب.

٣- تأثيرات الجماعات الأولية Primary Groups Influences:

يفترض أن الجماعات الأولية تلعب دورًا حيويًا في نمو الاتجاهات، وقد تعرضت دراسات كثيرة لفحص هذا الدور؛ كشفت دراسة جين، وستيفاني (Jean & Stephanie, 1991) التى أجريت على (٦٠) مراهقًا أميركيًا من أصول مختلفة (آسيويين، سود، أسبان) تراوحت أعمارهم من١٦-١٨ سنة، وآبائهم.. كشفت عن التأثير القوي للاتجاهات الوالدية العرقية، وممارسات التنشئة على اتجاهات الأبناء العرقية.

وهو ما أكدته كذلك دراسة ستيفن وإليزابيث Stephane & Elizabeth, 1999 حيث كشفت المقابلات مع (٤٧) طفلًا أميركيًا من أصل مكسيكي في الصفوف من ٢-٦ وآبائهم.. كشفت عن الدور الذي يلعبه التطبيع العرقي الوالدي في تشكيل ونمو الاتجاهات العرقية لدى الأطفال.

٤- تأثيرات الجماعة المرجعية Reference – Group Influences:

من خلال عرض لبعض الدراسات، خلص كرتشفيلد وبلاشي (مرجع سابق، ١١٩-١٢١) أن الجماعات العضوية التي يشارك فيها الفرد والجماعات غير العضوية التي يطمح في الانتماء إليها تعتبر ذات أهمية في تشكيل اتجاهاته.

٥- الشخصية:

يفترض أيضًا أن شخصية الفرد تلعب دورًا لا يقل أهمية عما سبق من عوامل في تكوين ونمو اتجاهات الفرد، ولعل أهم هذه التصورات حول هذه الفرضية ما قدمته لنا نظرية الشخصية التسلطية، والفرض المركزي في هذه النظرية هو أن الشخص يتبنى الأيديولوجيا الأكثر تناغمًا مع بنية شخصية، فلو أن الشخص يعتنق أيديولوجيا ما ضد الديمقراطية مثل معاداة السامية، أو التمركز العنصري/ العرقي، فذلك لأن خصائص شخصيته تهيئة لمثل هذه التوجّهات التعصبية (Newcomb et al., 1969, 440).إذن تفترض هذه النظرية أن هناك علاقة وثيقة بين اتجاهات الفرد وديناميات شخصيته.

٦- الشخصية التسلطية Authoritarian Personality

إذا كان لخصائص الشخصية أن تعين استعداد الفرد للتعصب، فنظرية الشخصية التسلطية -في إطار علم النفس الاجتماعي- هي المثل الرئيس لهذا التصور، والفرض المركزي في هذه النظرية هو أن الشخص يتبنى الأيديولوجيا الأكثر تناغمًا مع بنية شخصيته، فلو أن الشخص يعتنق أيديولوجيا ما ضد الديمقراطية مثل معاداة السامية، أو التمركز العنصري/ العرقي، فذلك لأن خصائص شخصيته تهيئه لمثل هذه التوجهات التعصبية (Newcomb et al., 1969, 440).

قدم هذا التصوّر اثنان من علماء الاجتماع الذين هاجروا من ألمانيا النازية إلى الولايات المتحدة وهما «ثيودور ادجورنو»و«فرانكل برونشفيك» (Adorno & Frankel –Brunswik)، حيث شغلتهما حملات القتل الجماعي التى قام بها النازيون - بعد نهاية الحرب العالمية الثانية - ضد اليهود، وشرعا في استقصاء الأسباب التى يمكن أن تدفع لمثل هذا التعصب المتطرف، ومع زملائهم بجامعة كاليفورنيا بـ «بركلي» شكلا فريقًا بحثيًّا ضم كل من ليفنسون وسانفورد (Levinson & Sanford) لدراسة هذه المسألة، كان ذلك في سنة ١٩٥٠،

وانطلاقًا من نظرية التحليل النفسي الكلاسيكية، وباستخدام المسح ودراسة الحالة وفنيات المقابلة توصل هؤلاء الباحثين إلى أن جملة خصائص شخصية تشكل ما يمكن أن يسمى بالشخصية التسلطية قد تقف خلف هذا الشكل من التعصّب المتطرف، وأن هذه الشخصية يمكن اقتفاء أثرها في صراعات الشخصية التي تطورت خلال الطفولة

.(Franzoi, 1996, 399-400)

انطلاقًا من هذا العمل الرائد، حدد هؤلاء الباحثون خصائص هذه الشخصية التسلطية: فالتسلطيون يتصفون بالإذعان المبالغ فيه للسلطة، والانصياع الصارم للمعايير التقليدية للسلوك، كما أنهم يميلون إلى العدوانية وعقاب المنحرفين، أو المختلفين (أعضاء جماعات الأقلية)، ويهتمون بشكل كبير بالقوة والمكانة. كما أن التصلب، وعدم تحمل الغموض أهم ملامح النمط المعرفي للتسلط، وعلاوة على ذلك فإذا كان التسلط يميل للخضوع للأكثر قوة، فإنه يميل إلى العدوانية واستخدام العقاب ضد من هم أضعف أو أدنى منه، وأخيرًا فهو يميل إلى الشك ويؤمن بالخرافات

(Brown 1965, 185-189; Taylor et al., 1997, 183)

وقد تم إعداد أداة لقياس هذه الخصائص أو الميول التسلطية سميت بمقياس (ف – اختصارًا للفاشية) والذين يُعبّرون عن موافقتهم على بنود هذا المقياس يتم تصنيفهم باعتبارهم ذوي شخصيات تسلّطية[1] وقد وجد أن ذوي الاتجاهات التعصّبية يسجّلون درجات مرتفعة على بنود هذا المقياس كما انعكس ذلك في موافقتهم الشديدة على متضمّنات هذه البنود الخاصة بالعدوانية، والانصياع لسلطات الجماعة الداخلية ..إلخ

.(Myers, 1996, 415)

[1] قام أحمد عبد العزيز سلامة (١٩٧٢) بترجمة مقياس – ف وإعداده للعربية، وتم نشره بعنوان استفتاء أدورنوا للتسلطية، القاهرة – دار النهضة العربية.

والشخصية التسلطية تنشأ عن خبرات التنشئة التي يتعرّض لها الطفل أثناء السنوات المبكرة، وقد حاول أدورنو وزملاؤه وصف التاريخ النفسي للتسلطيين حيث افترضوا أنهم يتعرضون لأساليب تنشئة صارمة من خلال والدَيْن يؤكدان على الطاعة الكاملة للسلطة، هذه الممارسات القاسية في التنشئة تعلم الأطفال كبت عدوانيتهم تجاه السلطة وإزاحتها ضد أهداف أقل تمهيدًا، أو أهداف غير قادرة على إيذائهم؛ كما أن انعدام الأمن الذي يستشعرونه بسبب قسوة الوالدين تهيئهم للاهتمام الزائد بالقوة والنفوذ، وبكلمات أخرى تعلمهم خبراتهم الطفلية النظر إلى المجتمع على أنه تنافسي، وتسلسلي متدرج بشكل طبيعي يسيطر فيه الأقوياء على الضعفاء، ويمثل هذه الرؤية المجتمع والعالم بشكل عام تبدأ هذه «البراعم» التسلطية في صرف عدوانيتهم في الأطفال الأصغر والأضعف، بينما يذعنون لهؤلاء الأكثر قوة، وكالبالغين، فإن الأهداف المتوقعة -فيما بعد- لعدوانيتهم المزاحة سوف تكون جماعات الأقلية المستضعفة (Newcomb et al., Op. Cit. 440-441; Myers, Op. Cit, 415).

ومنذ نشر أعمال أدورنو وفريقه البحثي، أجريت مئات الدراسات كمحاولات لتحقيق فهم أفضل للشخصية التسلطية[1].

إلا أن الانتقادات التي وُجِّهت للنظرية خاصة ما يتعلق منها بمنهجية البحث أثارت جدلًا كبيرًا حولها، وكانت النتيجة أن علّقت الدراسات في الشخصية التسلطية لسنوات عديدة (Taylor et al., Op. Cit, 183).

---

[1] من الدراسات المصرية الرائدة في مجال التسلطية دراسة عبد الستار إبراهيم (١٩٦٨)، وقد حاول الباحث في هذه الدراسة بحث العلاقة بين التسلطية وقوة الأنا على عينة اشتملت على (١٥٠) طالبًا بجامعة الأزهر، وقد أدخل الباحث تعديلًا على مقياس – ف الذي رأى أنه يركّز فقط على المضمون الأيديولوجي، وأضاف إليه بعدًا جديدًا خاصًا بالبناء المعرفي التسلطي؛ أي الأسلوب المعرفي للشخص في تناوله المضمون الأيديولوجي، وأطلق عليه مقياس التسلطية العامة، وأحاله في إضافة هذا البعد متأثرًا بـ «روكينش» الذي أكد على أهمية الأسلوب المعرفي بصرف النظر عن المضمون أو المحتوى المعرفي. وعلى كل، اعتبر الباحث القدرة على ضبط النفس والتحكم في التقلّبات الوجدانية، والقدرة على التقدير الواقعي، وتضخيم الأنا مؤشّرات يستدل منها على قوة الأنا. وأوضحت نتائج الدراسة أن التسلّطيين يعانون من ضعف في قوة الأنا، كما سبق، ووفقًا للمؤشرات السابقة.

إلى أن أعاد «التمايير» (Altemeyer, 1981; 1988) التسلّطية مرة أخرى إلى دائرة البحث، وإن كان بتصوّر جديد، إذ رأى أن أصول التسلطية لا ترجع إلى صراعات الشخصية قدر ما ترجع إلى التعلّم المباشر من الوالدين، والأقران، أو إلى الخبرة الشخصية المباشرة (فالأفراد الذين جمعتهم خبرات عديدة من أناس مختلفين، أو أقليات كثيرة أقل احتمالًا أن يصبحوا تسلّطين). على ذلك فنظرية «التمايير» في الشخصية التسلّطية أكثر تفاؤلية: فالتسلطية ليست متأصّلة في الشخصية الإنسانية، كما أنها لا تستدعي تدخّلًا علاجيًّا يستمر لسنوات قدر ما يمكن تقليلها من خلال التعامل مع أناس غير تسلّطين، ومن خلال خبرات تواصل مع أفراد أكثر تنوّعًا. (Ibid, 183) والجدول التالي يبين أوجه التشابه، وأوجه الاختلاف بين المنظور السيكودينامي الكلاسيكي للتسلطية ومنظور التعلم الاجتماعي المعدل.

جدول رقم (١) الفروق والتشابهات بين منظور «أدورنو» ومنظور «التماير» للتسلّطية

منظور التعلم الاجتماعي المعدّل (Altemeyer, 1981; 1988)	المنظور السيكودينامي الأصلي (Adorno et al., 1950)
الاختلافات	
الأصول	الأصول
التعلم الاجتماعي من الوالدين والآخرين خاصة أثناء المراهقة.	صراعات الشخصية التي تكوّنت من خلال أساليب التنشئة القاسية في الطفولة.
نقص الاتصال الشخصي بالجماعات الخارجية	العقل المؤمن بالخرافات
التشابهات	
- الإذعان لأشكال السلطة الرسمية	
- التقليد القوي بالتقاليد الاجتماعية	
- العدوانية تجاه الجماعات الخارجية المختلفة	

(Franzoi, Op. Cit, 401)

تأثير وسائل الإعلام في تكوين الاتجاهات

سبق وأن ذكرنا أن الاتجاهات تنمو من خلال الارتباط وإشباع الحاجة، حيث تكون إيجابية تجاه من يشبعون حاجاتنا وسلبية تجاه من يعوقوننا عن إشباعها وتحقيق أهدافنا، كما تبين أيضًا تأثير عوامل أخرى خاصة بالولاء الاجتماعي وتأثيرات الجماعات الأوّلية والمرجعية وعوامل الشخصية:

١ - إلا أن هناك عامل أيضًا في تكوين الاتجاهات، ألا وهو ما يتعرّض له الفرد من معلومات، وهنا يبدو بشكل خاص تأثير وسائل الإعلام، حيث إنها مصدر هام لنقل المعلومات إلى الفرد، وهناك بالطبع مصادر أخرى؛ فمعلوماتنا عن شخص أو شيء أو موضوع إلى حد غير قليل تحدد اتجاهاتنا نحو هذا الشخص، أو الشيء، أو الموضوع.

مثال (١):

لنفترض مثلًا أن معلوماتنا عن آثار المخدرات المختلفة قليلة، فإن التكثيف الإعلامي في عرض وتوضيح الآثار التدميرية لتعاطي المخدرات بأشكالها المتباينة قد ينمي لدينا اتجاهًا سلبيًا نحو تعاطي المخدّرات.

مثال (٢):

لنفترض أن اتجاهاتنا نحو المخدرات اتجاهات سلبية، فإن التكثيف الإعلامي لعرض العواقب الوخيمة لتعاطي المخدرات قد يبقي على اتجاهنا السلبي ويقوي هذا الاتجاه.

من هذين المثالين يتضح لنا دور وسائل الإعلام بما تتيحه وتنقله من معلومات في تكوين الاتجاهات، أو الإبقاء عليها وتقوية الاتجاهات القائمة بالفعل، وإن كان هناك من يقصر دور الإعلام على الوظيفة الثانية فقط.

٢- ويمكن أن نُفسر تأثير الإعلام في تكوين الاتجاهات من خلال مبدأ التحوي؛ فإذا كنا قد أشرنا إلى مبدأ الارتباط وإشباع الحاجة ودوره في اكتساب المشاعر وردود الفعل، فإن مبدأ التحويل هو ما يفسّر لنا كيف نكتسب أفكارنا وآراءنا عن الآخرين؛ أي كيف يتشكّل المكوّن المعرفي للاتجاه، ومن هنا فإن وسائل الإعلام بما تتيحه وتوفّره من معلومات تؤثّر في تكوين معتقداتنا، وأفكارنا نحو القضايا، أو الموضوعات، أو الأشياء، أو الآخرين؛ وإن كنا كذلك لا يعني بالطبع أن الفرد كائن آلي، أو مُستقبِل سلبي لما تقدمه وسائل الإعلام من معلومات، كما أن هناك متغيّرات معدّلة لتأثير المعلومات التي تنقلها لنا وسائل الإعلام على اتجاهاتنا.

٣- تحدّثنا فيما سبق عن دور المعتقدات، والقيم، والمعايير في تكوين الاتجاهات، وأحد أهم القنوات التي يمكن أن تنقل معايير، وقيم ومعتقدات الجماعة هي وسائل الإعلام من خلال المسلسلات، والأفلام، والبرامج التلفزيونية، والإذاعية ومن خلال المقالات، والكتابات الصحفية، والمجلّات، والكتب.. إلخ؛ ومن ثم، فإن وسائل الإعلام هي وسيط أو وكيل (غير رسمي) في نقل الثقافة المجتمعية، كما تكون -هي ذاتها فيما تعرض- انعكاسًا لهذه الثقافة، وإن كان الأمر قد اختلف في الوقت الحالي حيث القنوات الفضائية والتي تعرض لثقافات مختلفة، أو حيث الانفتاح الثقافي، بما يثور حوله من انتقادات، حيث هناك من يرى ضرورة التثقيف، ومن يرى ضرورة التحصين، أو الانكفاء على الثقافة المجتمعية.

٤- أحيانًا ما تنقصنا معلومات عن شخص ما أو قضية ما، وقد يؤدي ذلك إلى نتائج غير مستحبّة، إلا أننا عندما نتزوّد أو تتوافر لدينا المعلومات الكافية، فإن اتجاهاتنا -عن ذلك الشخص أو هذه القضية- يمكن أن تتعدّل، وهنا تبرز أهمية دور وسائل الإعلام في إكمال القصور القائم في معلوماتنا بما توفّره من معلومات، وحقائق تملأ ثغراتنا المعرفيّة.

٥- وثمّة نقطة هامّة ينبغي الإشارة إليها، من المفترض أن الإعلام ينقل المعلومات، أو الحقائق الصادقة، والتي يفترض أنها تكوّن وتدعّم اتجاهات قائمة، إلا أن هناك ما يمكن وصفه بالإعلام المُسيّس أو المراوغ الذي يمكن أن ينقل حقائق غير صادقة، أو مشوّهة، أو مُحرّفة بقصد تكوين اتجاهات بعينها، تعكس أيديولوجيا النظام، على نحو ما يفعله الإعلام الأميركي فيما يتعلق بالزنوج حيث تقديم معلومات زائفة عن هذه الفئة بقصد تكوين اتجاهات سلبية نحوهم عند المواطن الأميركي، مما يحافظ على أو يزيد من الهوّة التي تفصل بين الأبيض والأسود، بما يرسّخ لفكرة التفوّق للأبيض وأحقيّته في تملّك الموارد والمصادر وليس السود «الأقل ذكاء»، «الحاقدين»، «غير الموثوق بهم» إلى آخر ذلك من تلك المعلومات التي تكوّن صورًا ذهنية لدى البيض عن السود، كما لو كانوا هم كذلك في الواقع.

ومن ثم، فالإعلام الصادق -وليس المزيّف- هو الذي يقدّم المعلومات والحقائق الصادقة التي يمكن أن تنمي اتجاهات واقعية وليس تعميمات نمطيّة، أو اتجاهات غير ملائمة.

وفيما يتعلّق بالإعلام الأيديولوجي تنبغي الإشارة سريعًا إلى العولمة الإعلامية، والعولمة هي الاسم الحركي للأمركة، ومن ثم فإن العولمة أي أميركا تحاول بشدة، وهو ما تم بدرجة كبيرة، استغلال الوسائط الإعلامية في ترسيخ ثقافتها في مختلف أرجاء الكون، حتى أوربا ذاتها لم تسلم من هذا التأثير؛ وهنا صار الإعلام مُسيَّسًا يخدم أيديولوجيا بعينها هي الأيديولوجية الأميركية، وبسبب امتلاكها، واستحواذها على الوسائط الإعلامية، صارت عبر إعلامها قادرة على الاختراق الثقافي الذي يرسخ لأيديولوجيا العولمة.. الأمركة تلك التي تستهدف أول ما تستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب

الوعي، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية، والجماعية كل ذلك عبر الإعلام: عبر قهر الصورة السمعية والبصرية التي تسعى إلى التسطيح، وبالتالي تعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق بما يخدم تكريس الاستهلاك لثقافة/ أيديولوجيا العولمة (**محمد عابد الجابري، ١٩٩٨، ٣٠١، ٣٠٢**).

إنها ثقافة إشهارية إعلامية سمعية وبصرية، تصنع الذوق الاستهلاكي، والرأي السياسي وتشييد رؤية خاصة تريدها للإنسان وللمجتمع وللتاريخ (**المرجع السابق، ص٣٠٢**).

- وعن الإعلام الأيديولوجي أي الإعلام الأميركي المعولم، هناك أيضًا قضيّة خطيرة مرتبطة بما سبق، وهو الخاص بما ينقله هذا الإعلام من حقائق ومعلومات، إذ يتحكم في كمّ ونوع المعلومات الهامة بالنسبة لتشكيل الاتجاه.

إن الإعلام المعولم/ الأميركي يتقن عملية اختيار العولمة، وأسلوب صياغتها وثباتها، بما يدعم سيادتها الثقافية على اعتبار أن العولمة لا تنفصل عن ثقافة المصدر.

- والحديث عن الأمركة، أو الإعلام المعولم الذي يستهدف الاختراق الثقافي لثقافات العالم وخلق التوجّهات الإيجابية نحو الثقافة الأمريكية حديث لا يتسع له المقام الحالي، وسوف نناقشه بشكل أكثر تفصيلًا في الفصل الخاص بثقافة العولمة، وتأثيراتها السيكولوجية.